التفسير الأثري للخطاب الإحالي لضمائر الغيبة في التعبير القرآني/ دراسة تحليلية

أ. د لطيفة عبد الرسول الضايف

م. آلاء شفيق وهاب

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

The Influential Interpretation of Referral Discourse of Anaphoric Pronouns In the Qur'anic Expression / Analytical Study

Prof. Dr. Latifa Abdul-Rasoul Al-Daif

Lect. Alaa Shafeeq Wahab

University of Mustansiriya /college of arts

ملخص البحث

أشكل على العلماء والمفسّرين فَهم مقصد الخطاب في بعض الآيات القرآنية المتضمّنة ضمائر الغيبة؛ لغموض مرجعه في أكثر المواضع التي يرِد فيها وعلى وفق ذلك جاءت دراستنا هذه بعنوان (التفسير الأثري للخطاب الإحالي لضمائر الغيبة في التعبير القرآني/ دراسة تحليلية)؛ لمعرفة الدلالة الصحيحة من الخطاب الإحالي على وفق المعطيات السياقيّة تعاضدًا مع الرواية المأثورة تضعيفًا وترجيحًا وجريًا وتطبيقًا، اعتمادًا على قوة الدليل اللغوي والنقلي والمنطقي، وبناءً على التفسير الأثري للنصوص القرآنيّة التي اختصّت بالمُشكِل الحاصِل في فَهم الخطاب الإحالي لضمير الغيبة وقد تمركزت دراستنا على ضمير الغيبة؛ كونه أكثر الضمائر إبهامًا؛ ولذا نجد اختلاف المفسرين في الآيات التي تحوي هذا الضمير هو الغالب في كتب التفسير؛ كذلك فإنّ أغلب الروايات المأثورة فيما يخص الضمير كانت تتمحوّر فيه؛ ذلك أنّ الوقوف على مرجع ضمير الغيبة يقودنا إلى كشف تجلّيات النص القرآني وفَهم المُراد من الخطاب.

الكلمات المفتاحية (الخطاب- الإحالة- الضمير)

Abstract

Scholars and commentators have trouble understanding the intent of the discourse in some Qur'anic verses that contain anaphoric pronouns due to the ambiguity of its reference in most of the places in which it is mentioned. Accordingly this study came under the title (The influential interpretation of referral discourse of anaphoric pronouns In the Qur'anic Expression / Analytical Study) to know the exact significance of the referential discourse according to the contextual data in conjunction with the aforementioned narration, weakening, weighting, running and applying. Also relying on the strength of linguistic, transitive and logical evidence based on the influential interpretation of the Qur'anic texts that dealt with the problem in understanding the referential discourse of the anaphoric pronouns. This study focused on the anaphoric pronoun, being the most ambiguous one. Therefore, we find that the commentators differed regarding the verses that contain this pronoun, which is prevalent in the books of interpretation. Also, most of the narrations regarding pronouns were centered on it. This is because examining the reference of the anaphoric pronoun leads us to uncover the manifestations of the Qur'anic text and understand the intent of the speech.

Keywords: discourse, referential, pronoun

المقدمة:

الخطاب الرباني موجّه من لدن عزيزٍ حكيمٍ إلى بني البشر، وتقبّل العقل البشري محدودٌ ومعاني الخطاب الربانيّ لا محدود. ومُعترك الوصول إلى مُرادِهِ تفسيرًا وتأويلًا أمرٌ يُراد للمُتصدّي لهُ درايةً وعلمًا، وتفقّهًا في الدين وتمكّنًا؛ ولأنّ بابَ التَّفسيرِ والبيانِ مفتوحٌ للعقل البشري تأملًا وتدبّرًا؛ لاستنباط المعاني؛ وصولًا إلى حكمٍ شرعيٍّ أو فقهيٍّ، أو لمعرفة مَقصد الخطاب، وقف المفسّرون أمام ذلك الخطاب لمعرفة كُنهه ومرادِهِ، فأشكل عليهم مقصد الخطاب في بعض الآيات القرآنية المتضمّنة ضمائر الغيبة؛ كونه أكثر الضمائر إبهامًا؛ إذ إنّ ضمير الغيبة في تفسيره وفَهم المقصود منه محتاجٌ إلى ثلاثة أمورٍ، فهو إمّا أن يرجع إلى مذكورٍ قبله، أو بعده، أو يكون عوده معلومًا من السياق، أو لا يعود إلى مذكورٍ و لا إلى معلومٍ، فحينئذٍ يحتاج إلى مفسرٍ بما بعده بالجملة أو المفرد؛ ليزيل الإبهام ويتضح المراد؛ لذا نجد اختلاف المفسرين في الآيات التي تحوي هذا الضمير هو الغالب في كتب التفسير؛ لغموض مرجعه في أكثر المواضع التي يرِد فيها إلى ماذا يحيل، كذلك فإنّ أغلب الروايات المأثورة فيما يخص الضمير كانت تتمحوّر فيه؛ ذلك أنّ الوقوف على مرجع ضمير الغيبة يقودنا إلى كشف تجليّات النص القرآني وفَهم المُراد. فـ ((لما كان ضميرُ الحاضر مُفسَّرًا لمشاهدة تقارنه، ولم يكن لضمير الغائب مشاهدة تقارنه، جعلوا تقديم مُفَسِّره خلفًا عمّا فاته من مُقارنةِ المشاهدة، ومقتضى هذا القصد تقديم الشعور بالمفسِّر كما يتقدم الشعور بذاتٍ يصلح أن يُعَبَّر عنها بضمير حاضر))[1].

التمهيد

الضمير في متن اللغة هو: ((الضُّمْرُ والضُّمُر، مثلُ العُسْر

والعُسُر: الهُزالُ ولَحاقُ البطنِ... وَاللُّؤْلُؤُ المُضْطَمِرُ: الَّذِي فِي وَسَطِهِ بعضُ الإِنْضِمَامِ. وتَضَمّرَ وجهُه: انْضَمَّتْ جِلْدتُه مِنَ الْهُزَالِ. والضَّمِيرُ: السِّرُّ وداخِلُ الخاطِرِ.... الليث: الضمير الشَّيْءُ الَّذِي تُضْمِره فِي قَلْبِكَ،... وأَضْمَرْتُ الشَّيْءَ: أَخْفَيته... وأَضْمَرَتْه الأَرضُ: غَيَّبَتْه إِما بِمَوْتٍ وإِما بسَفَرٍ؛ قَالَ الأَعشى:

أُرانا، إِذا أَضْمَرَتْك البِلادُ نُجْفى، وتُقْطَعُ مِنا الرَّحِم

أراد إِذا غَيَّبَتْكَ البلادُ[٢])).

أما في اصطلاح علماء النحو، فكان تعريفهم له الآتي:

- قال ابن يعيش (٦٤٣هـ): ((المضمرات ثلاثة أقسام: متكلم، ومخاطب، وغائب. وتختلف ألفاظها بحسب اختلاف محلها من الإعراب... ولكل واحد من المضمرات ضميران: متصل، ومنفصل))[٣]

- قال ابن مالك (٦٧٢هـ): ((المضمر والضمير: اسمان لما وُضِعَ من الأسماء لمتكلمٍ، أو مخاطبٍ أو غائبٍ، متميزًا بنفسه كـ(إنّك) و(إنّه)، أو بمصحوبه كـ(أنا)، و(أنت)، و(إياي)، و(إيانا)، و(فَعَلْتُ)، و(فَعَلْتَ)، و(فَعَلْتِ)، و(اذهبا)، و(ذهبا)))[٤].

- قال ابن هشام(٧٦١هـ): ((المضمر والضمير، اسمان لما وُضِعَ لمتكلم كـ (أنا)، أو لمخاطب كـ (أنتَ)، أو لغائب كـ (هو)، أو لمخاطب تارة ولغائب أخرى، وهو الألف والواو والنون، كـ (قوما) و(قاما)، و(قوموا) و(قاموا)، و(قمن). الضمير قسمان: بارز ومستتر))[٥].

ونلحظ ترابطًا دلاليًا مشتركًا بين المصطلح اللغوي والنحوي؛ إذ كلاهما يدلّ على التخفي وعدم الظهور، فبالضمير يتستّر الاسم الصريح ولا يظهر وإنما يكنّى عنه[٦]؛ إذ ((تكتسب الضمائر أهميتها من كونها نائبة عن الأسماء، والأفعال، والعبارات،

والجمل المتتالية... ولاتقف عند هذا الحدّ بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلًا ودلالة، داخليًا وخارجيًا، سابقة ولاحقة... ومن هنا وجدنا أنّ علماء العربية التفتوا إلى هذه الوظيفة المهمة للضمير... ووجدناهم اختلفوا في عود الضمير إلى سابقٍ أو لاحقٍ لما للنص من احتمالات متعددة؛ لاحتمال النص القرآني وجوهًا متعددة فهو حمّال أوجهٍ))[٧]. وترِد الضمائر في اللغة لإرادة استعمالها في الدلالة على معيّن[٨]. فـ ((الضمائر جميعًا مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطًا أساسيًا لدلالتها على معيّن فضمير المتكلم، والمخاطب، والإشارة قرينتها الحضور، وأما ضمير الغائب فقرينته المرجع المتقدم إما لفظًا، أو رتبةً، أو هما معًا، فهذا المرجع هو القرينة التي تدلّ على المقصود بضمير الغائب))[٩]. وتعدّ الضمائر من المبهمات؛ لأنّها غير دالة على مسمًى معين كالاسم، أو أنّها دالة على موصوف بالحدث مثل الصفة، ولا زمانٍ وحدثٍ كالفعل، بل هي دالةٌ على عموم الحاضر أو الغائب دون دلالة على خصوص الغائب، أو الحاضر، وتحتاج إلى قرينة سياقية لتعينها[١٠]. وذهب علماء النحو إلى تخصيص ضمير الغائب بالإبهام[١١]، معللين ذلك بأنّ ((أمكنها في التعريف ضمير المتكلم؛ لأنّه يدلّ على المراد بنفسهِ، وبمشاهدة مدلولهِ، وبعدم صلاحيتهِ لغيرهِ، وبتميز صوتهِ، ثم ضمير المخاطب؛ لأنّه يدلّ على المراد بنفسهِ، وبمواجهةِ مدلولهِ، ثم العلم؛ لأنّه يدلّ على المراد بهِ حاضرًا وغائبًا على سبيل الاختصاص، ثم ضميرُ الغائبِ السالمِ من إبهام نحو: زيدٌ رأيتُه، فلو تقدّم اسمان وأكثر نحو: قامَ زيدٌ وعمرٌو كلمتُه، لَتطرَّق إليه إبهامُ ونَقصِ تَمَكُّنهُ في التعريف))[١٢]، وهذا ما لمسناه عند المفسرين؛ إذ كانت الآيات التي

تناولوها بالشرح والتفسير، واختلفوا فيها جلّها كانت تدور في ضمير الغيبة؛ ((وذلك لافتقاره في السياق دائمًا إلى مرجع أو مفسّر يفسّره ويزيل إبهامه، ولاستغناء ضميري التكلم والخطاب عن ذلك بالحضور))[١٣]. أي: إنّ ضمير الغيبة يتطلّب ما يفسّره متقدّمًا عليه ويكون على أشكال، منها أن يكون متقدّمًا لفظيًا، أي: عود الضمير على لفظٍ تحقيقًا، نحو: ضربَ زيدٌ غلامَه، أو يتقدّم لفظًا تقديرًا نحو: ضرب غلامَه زيدٌ، فساغ تقدّم زيدٍ تقديرًا؛ لأنّه فاعلٌ، ومنها أن يكون المفسّر متقدمًا معنويًا، ويكون على قسمين، الأول: أن يتقدّم الضمير لفظٌ متضمنٌ للمفسّر بأن يكون المفسر جزء مدلول ذلك اللفظ، كقوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[١٤]، أي: العدل أقرب؛ كون الفعل دالّا على المصدر والزمان، والآخر هو أن يدلّ سياق الكلام على المفسّر التزامًا، لا تضمنًا، كقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾[١٥]؛ لأنّه لما سيق الكلام في ذكر الميراث استلزم السياق أن يكون ثمّة مورِّثٌ فجرى الضمير عليه من حيث المعنى[١٦]. ويمكن القول: إنّ مفسّر ضمير الغيبة يكون على أضرب، فقد يكون عائدًا على مذكورٍ قبله، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[١٧]، أو يكون المفسّر بعده نحو، قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾[١٨]، أو يكون عودُهُ معلومًا من السياق، نحو قوه تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١٩]؛ فالمقصود القرآن المفهوم من الإنزال، أو يكون غير معلوم في السياق، ولا مذكورًا في النص، وفي مثل هذه الحالة يكون محتاجًا إلى تفسيرٍ معينٍ، وهذا التفسير أما أن يكون بالجملة، وهو الخاص بضمير الشأنِ، نحو قوله تعالى: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا}[٢٠]، أو يكون المفسّر مفردًا وهو المضمر

الخاص بـ (نِعم، وبئس) الخلاصة: إنّ ضمير الغيبة في تفسيره وفَهم المقصود منه محتاجٌ إلى ثلاثة أمورٍ، فهو إما أن يرجع إلى مذكور قبله، أو بعده، أو إلى معلومٍ من السياق، أو لا يعود لا إلى مذكورٍ أو إلى معلومٍ، فحينئذٍ يحتاج إلى مفسرٍ بما بعده بالجملة أو المفرد[٢١]؛ ليزيل الإبهام ويتضح المراد، فـ « الإبهام من أكثر المصطلحات ارتباطًا بالحديث عن المعنى في مجال النحو، ويقصد به عمومًا غموض هذا المعنى على مستوى الكلمة المفردة من حيث تعيينها، وتعريفها، أو على مستوى الجملة »[٢٢]، وثمّة دواعٍ دلالية لإبهام الضمير في النص استدعاها السياق، منها: الاختصار، وتفخيم الشأن، أو التحقير،[٢٣].

النصوص القرآنية موضع الدراسة والتحليل:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢٤].

موضع الشاهد في الخطاب الإحالي

المشكل في الآية الكريمة هو مرجع الضمير في (أمنيته)، أيعود إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أم إلى (الشيطان) والأخير قول صاحب الدر المصون، كذلك اختلاف المفسرين في دلالة الفعل (تمنى)؛ إذ وقف العلماء عندها وقالوا فيها إنّها ترد بمعنيين: (القراءة، أو التلاوة)، والمعنى الآخر تأتي بمعنى(أَحَبَ الشّيء، أو رَغِبَ فِيهِ)، ووفقًا للمعنى الأول تسللت إلى هذهِ الآية الإسرائيليات التي أساءت لشخص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبتحليلنا لسياقات النص وصولًا إلى ما أُثر من أقوال في الآية الكريمة تتجلّى الدلالة المقصودة من الخطاب الإحالي لمرجعية الضمير في (أمنيته)، وتنزيه الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم). ممّا قاله فيه المنافقون والمشركون. نفهم من ذلك أنّ المفسرين انقسموا في دلالة الفعل (تمنى) على قسمين:

الأول: ترد بمعنى (قرأ أو تلى).

الثاني: ترد بمعنى (الشيء المحبوب أو المرغوب فيهِ).

١-دلالة تمنى على (قرأ وتلا).

وإلى هذا المعنى: ذهب بعض المفسرين ومنهم الطبري، في سبب نزول الآية الكريمة أنّ الشيطان ألقى على لسان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، في بعض ما يتلوه مما أُنزل عليه من القرآن الكريم أشياء ليست مما أنزل الله عليه؛ وذلك أثناء تلاوته: ﴿والنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[٢٥] فقرأها رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلم»، حتى وصل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[٢٦] ألقى عليه الشيطان كلمتين: «تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهنّ لترجى»، فتكلم بها، ثم مضى فقرأ السورة كلها، فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يُحيي، ويُميت، وهذه آلهتنا تشفع لنا عنده، فنحن معك، فلما أمسى أتاه جبرائيل (عليه السلام) فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): افْتَرَيْتُ عَلى الله، وَقُلْتُ عَلى الله ما لَمْ يَقُلْ، فأوحى الله إليه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾[٢٧] فاشتدّ ذلك على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): واغتمَّ به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات[٢٨]. وهل يصح هذاوسوسة الشيطان- أن تكون لها سبيلٌ إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) هذا الذي قيل فيه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَى﴾[٢٩]، كيف يكون للشيطان سبيلٌ إليه؟!!!، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[٣٠] ثم إنّ القرآن استثنى المخلصين من العباد الذين أقسم إبليس بإغوائهم فكيف بالنبي الأكرم (صلوات الله عليه وعلى آله)، جاء في كتابه العزيز على لسان إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٣١]، كذلك فإنّ سياق الآية بعدها لا ينسجم مع ما ذكره الشيطان، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[٣٢]، السياق القرآني صريح؛ إذ عبّر عن هذه الأسماء بأنّها من الأوهام والظن التي ورثتموها من آبائكم ولم تكن من عند الله كما خيّل الشيطان لهم وبثّ أوهامه فيهم؛ لذلك نجد أنّ هناك مَن أنكر هذا التفسير معللا إنكاره بالدليل اللغوي، من ذلك ما ذهب إليه صاحب الدر المصون؛ ذاكرًا قولين في عود الضمير في لفظة «أمنيته»، هما[٣٣]:

أحدُهما: أن يكون الضميرُ عائدًا على الشيطان.

والثاني: إنّ يكون الضميرُ عائدًا على الرسولِ.

وعلى ترجيح صاحب الدر المصون بعود الضمير على الشيطان يكون المعنى: إنّ الشيطان يضع العراقيل والعقبات محاولًا صرف الناس عن القرآن المعجز بترديدهم تلك الكفريات، أو يدعو أنّ هذا القرآن سحر أو كلام مفترى، فيقول

«هذا سحرٌ»، أو «افتراه على الله كذبًا»، فينسخ الله سبحانه ويزيل ما ألقى الشيطان من وساوس وعقبات، ويحكم آياته. ولكن سياق الكلام أشار إلى أنّ الضمير يعود على الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ لأنّ فاعل «تمنّى» إنّما يعود على شخص الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم). والمقصود بالنسخ هنا وهو النسخ اللغوي، لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام، المراد منه هو إزالة تأثير الشيطان[٣٤]. فيبعُد أن تحمل دلالة «تمنّى» على تلا وقرأ.

٢- ذهب بعض المفسرين إلى أنّ مفعول «أَلْقَى» مَحذوفٌ دَلَّ عليه المَقامُ؛ ذلك أنّ الشَّيطانَ إنَّما يُلْقِي الشَّرَّ والمفسدة ولا يلقي الخير والمنفعة للناس[٣٥]، وبذلك يكون المقصود بإلقاء الشيطان في أمنيته: هو محاولة لإبعاد الناس عن طريق الحق، وذلك بإلقاء الأباطيل والأراجيف في نفوسهم؛ لإضلالهم عن طريق الهدى ومعنى ذلك: وما أرسلنا من قبلكيا محمّدمن رسول ولا نبّي، إلا إذا تمنى أن يهدي قومه إلى ما أُرسِلَ من أجله ألقى الشيطان في سبيله العثرات، وأقام بينه وبين مقصده العقبات. ووسوستَهُ في صدور الناس؛ محاولة منه لانتزاع الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس، فيصدهم عمّا جاء به الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ لإحالة تحقق تلك الأمنية السامية التي فيها خروج الناس من الظلمات إلى النور باتباع الأحكام الثابتة في القرآن الكريم، وهذا ما يسعى إليه الشيطان إثر ما يتلوه كل نبيّ على أمته من الأحكام المتجددة التي فيها إسعاد البشر، أنه يحول دون نشرها ويحاول صدَّ المدعوين عنها[٣٦]، فيُوهم مَن خالط قلبه الإيمان بقوله: «هذا سحر»، أو «افتراه كذبًا»، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ

هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٣٧].

٣- كذلك ذهب بعض المفسرين إلى أنّ مفعول «ألقى» محذوف، والمعنى مقدّر بـ» الشّبه والتخيُلات»، أي: وممّا أرسلنا من قبلك من رسولٍ، ولا نبيٍّ إلا إذا قرأ شيئًا من الآيات ألقى الشيطان الشُّبه والتخيُلات فيما يقرؤه على أشياعهِ وأوليائهِ؛ ليجادلوه وُيبطلوا ما نزل عليه بإثارة الشبهة قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٣٩] كذلك الشُّبهة التي أثيرت عند سماع قراءة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾[٤٠] إنّه يحلّ ذبيح نفسه ويحرّم ذبيح الله تعالى، وقولهم على ما في بعض الروايات عند سماع قراءته عليه الصلاة و السلام ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[٤١] إنّ عيسى عُبِد من دون الله تعالى والملائكة (عليه السلام) عُبِدوا من دون الله تعالى فينسخ الله سبحانه ما يُلقي الشيطان أي فيبطل ما يلقيه من تلك الشُّبه[٤٢].

يبدو أنّ الغرض من هذا التأويلتمنى بمعنى قرأ- هو التشكيك بالقرآن الكريم وبرسوله الأمين (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ فذلك ديدن شياطين الجن والأنس على مرِّ الدهور، ولكن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله سبحانه، وأباطيلهم مردودة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤٣].

٢- المعنى الثاني للفعل (تمنى) هو أحبَ الشيء ورَغِب فيهِ، وتَوق النفسِ لتحققه.

وهذا ما اشتهر في لغة العرب.

أما بمعنى قرأ فغير شائع في كلام العرب[٤٤]، ويُردّ هذا المعنى، السياق الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾؛ إذ

عطف السياق بالواو؛ إذ الأصل الغالب على النسق بين المتعاطفين هو الجمع بين معنيين متغايرين[٤٥]، فيكون وظيفة العطف هو الإتيان بالشيء على معنى النهي عن الجمع بينهما، فالقرآن مايز بين النبي والرسول؛ إذ ليس كل الأنبياء أصحاب كتب سماوية، كي يتناسب حمل دلالة الفعل «تمنّى» على معنى «قرأ»، فالرسول ينزل عليه كتاب يمكن أن يقرأه، أمّا النبي فلا ينزل عليه كتاب، بل يعمل بشرع مَنْ سبقه من الرسل. وكون الرسول والنبي يشتركان في إلقاء الشيطان، فلا بُدَّ أن تكون الأمنية هنا بمعنى: أحب أن يكون الشيء، لا بمعنى قرأ، فأيُّ شيء سيقرأ النبي وَليس معه كتاب؟[٤٦] وبذلك يبطل أن يكون «تمنّى» بمعنى «تلا وقرأ»؛ لأنّ ذلك ينسجم مع «الرسول» ولا ينسجم مع «النبي»، وعليه فإنّ الخطاب الإحالي في عود الضمير في «أمنيته» إنّما يعود إلى شخص النبي الأكرم، و» تمنّى» وردت في سياق النص القرآني بمعنى «الرغبة في حصول الأمنية» وليس القراءة.

– ومن الدلائل اللغوية في سياق النص التي تشير إلى ردّ حمل «تمنى» على معنى «قرأ»، أنّ المقصود بالنسخ في هذا الموضع هو النسخ اللغوي وليس القرآني، جاء في اللسان « نسَخَت الشمسُ الظِّلَّ وَانْتَسَخَتْهُ أَزالته، وَالْمَعْنَى أَذهبت الظِّلَّ وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ... ونسَخَت الرِّيحُ آثَارَ الدِّيَارِ: غَيَّرَتْهَا»[٤٧]، نفهم من المعنى اللغوي أنّ النسخ قد يكون هناك بديلٌ عنه، أو قد لا يبدل وهذا خلاف النسخ بالمعنى القرآني، فالأخير هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر[٤٨]. أي يرفع حكم مع الإبقاء على اللفظ، وهذا لاينطبق على ممّا ورد وفقا لما تأولّه المفسرون؛ لأنّ هذا يعني أنّ كلامَ الشيطانِ محفوظٌ إذا حُمِل النسخُ على المعنى القرآني، «فالمراد إزالته وإزالة تأثيره فهو النسخ

اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الأحكام»[٤٩]. ومما يعزز ترجيح معنى «تمنى» بالرغبة في حصولِ الشيء المحبوب ما ورد بالأثر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أصابه خصاصة فجاء إلى رجل من الأنصار فقال له: هل عندك من طعام؟ فقال: نعم يا رسول الله وذبح له عناقًا وشواه فلمّا أدناه منه تمنّى رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» أن يكون معه أهل بيته (سلام الله عليهم)، فجاء منافقان فردّهما الأنصاري، ثم جاء عليّ (عليه السلام) بعدهما فأنزل الله تعالى (فينسخ الله ما يلقى الشيطان)[٥٠] أي: إنّه تعالى يزيل عنك مَن يحول دون تحقيق ما تحب.

٢- قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[٥١].

موضع الشاهد في الخطاب الإحالي:

المشكل في الآية الكريمة يكمن على ماذا يحيل الضمير في الخطاب الإحالي؟؛ إذ في الآية ضميرا غيبةٍ، الأول في «به»، والثاني في «موته»، وقد اختلف المفسرون في ذلك، ومن المعلوم في اللغة أنّ لكل ضميرٍ مرجعًا، والآية التي نحن بصدد تحليل سياقاتها، نلحظ أنّها تقدّمها مرجعان هما عيسى، وأهل الكتاب، وفيهما ضميران اثنان، والمشكل هنا المختلَف عليه عند العلماء أنّ هذين الضميرين هل يعودان على المسيح، أو هما عائدان على أهل الكتاب؟ أو ربما عاد أحدهما على المسيح، والآخر يعود على أهل الكتاب؟ والإشكال الآخر هو أي ضمير يرجع على المسيح، وما الضمير الراجع على أهل الكتاب؟ هذه الآية تجزم وبالدليل القطعي على حياة المسيح (عليه السلام)؛ إذ فيها دلائل جليّة على نزول عيسى «عليه

السلام» الى هذه الدنيا في آخر الزمان، بعد حِفظ الله له برفعه إلى السماء عندما أرادوا قتله وصلبه، ونلحظ أنّ القرآن لم يصرِّح بموت المسيح في الكتاب العزيز إلا في هذا الموضع، مصحوبًا بقيد الإيمان، ولكن هل القصد من ذلك حقيقة الإيمان أو الإيمان بمعناه اللغوي الذي هو التصديق؟ سيتضح هذا الأمر بتحليلنا لسياقات النص القرآني.

آراء العلماء والمفسرين في عود الضمير:

- قال الفراء (٢٠٧هـ): ((معناهُ: مَن ليؤمنَّن بِهِ قبل موته، فجاء التفسير بوجهين أحدهما أن تكون الْهَاء فِي موته لعيسى، يقول: يؤمنونَ إِذَا أنزل قبل موته، وتكون الملّة والدين واحدًا، ويُقال: يؤمن كل يهوديّ بعيسى عند موته، وتَحقيق ذَلِكَ فِي قراءة أبي إلا ليؤمنُنَّ بِهِ قبل موتهم))[٥٢].

- وقال الزجاج (٣١١هـ): ((فالهاء في (موته) راجعة على كافرٍ في بعض الأقاويل، وقد قيل: ما من أحد إلا لَيُؤْمِنَنَّ بعيسى ممن كفر به قبل مَوْته، لأن الميت قبل موته يعاين عمله فيعلم صالحه من طالحه، وكل كافر إِذا عَاينَ آمَنَ بكل نبي كَفَرَ به قبل مَوْته. وقالوا في الهاء في قوله: «لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» أي بعيسى. وقال بعضهم بمحمدصلّى الله عليه وآله وسلموالقولان واحد))[٥٣]. يفهم من عبارة الزجاج أنّه أرجع عود الضمير في «موتهِ» على الكتابيّ، لكن هذا الترجيح يناقض سياق المقام للنص؛ إذ الآية تتحدّث عن صلب المسيح (عليه السلام) وقتلهم إيّاه فليس المقام مقام اعتراف الكتابيّ بنزول عيسى (عليه السلام) فيما بعد والتصديق بهِ.

- قال البغوي: (٥١٦هـ): ((قَوْلُهُ (قَبْلَ مَوْتِهِ) اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: إِنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ الْكِتَابِيِّ، وَمَعْنَاهُ: وَمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ مَوْتِهِ... وَذَهَبَ قَوْمٌ

إِلَى أَنَّ الْهَاءَ فِي (مَوْتِهِ) كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى (عليه السلام)، مَعْنَاهُ: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى (عليه السلام)... ورُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ (لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) كِنَايَةٌ عَنْ مُحَمَّدٍ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) يَقُولُ: لَا يَمُوتُ كِتَابِيٌّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ)، وَقِيلَ: هِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ«[٥٤]. ويبدو من عبارة البغوي حينما نقل رواية أبي هريرة في الآية الكريمة أنّه يرجّح عود الضمير في (موته) إلى عيسى (عليه السلام)؛ إذ نراه يقول: (وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) قَالَ: (يُوشِكُ أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَيَهْلَكُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ)[٥٥]، وَقَالَ أَبُو هريرة: اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، قبل موت عيسى ابن مَرْيَمَ، ثُمَّ يُعِيدُهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[٥٦].

- وقال الزمخشري (٥٣٨هـ): ((ويجوز أن يُراد أنّه لا يبقى أحدٌ من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أنّ الله يُحييهم في قبورهم في ذلك الزمان، ويُعلِمهم نزوله وما أنزل له، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في (بهِ) يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم))[٥٧]. والذي يُفهم من كلام الزمخشري أنّه يُرجِع الضمير إلى كلّ كتابيّ بعد إحيائهم من قبورهم فيؤمنون بالمسيح، ولِمَ ذلك هل هو من باب الكرامة لهم؟ أرى أنّه تفسيرٌ بعيدٌ، وفيهِ شيءٌ من الغرابةِ.

- قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): ((و(إن) نافية (من أهل الكتاب) صفة لموصوف محذوف تقديره: أحد

والضمير المجرور عائد لعيسى: أيّ (ليومنَنّ بعيسى، والضمير في (موته) يحتمل أن يعود إلى أحد أهل الكتاب، أي قبل أن يموت الكتابيّ، ويؤيّده قراءة أبَي بن كعب (إلا ليؤمنن به قبل موته) وأهل الكتاب يطلق على اليهود والنّصارى؛ فأمّا النصارى فهم مؤمنون بعيسى من قبل، فيتعيّن أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود. والمعنى أنّ اليهود مع شدّة كفرهم بعيسى لا يموت أحد منهم إلاّ وهو يؤمن بنبوّته قبل موته... وقيل: كذلك النصرانيّ عند موته ينكشف له أنّ عيسى عبد الله. وعندي أنّ ضمير (به) راجع إلى الرفع المأخوذ من فعل ﴿رَفَعَهُ الله إِلَيْهِ﴾[٥٨]، ويعمّ قولُه أهلِ الكتاب (اليهودَ، والنّصارى)، حيث استووا مع اليهود في اعتقاد وقوع الصلب))[٥٩]. وبعد عرض آراء المفسرين، يُفهم منها أنّ الضمير في قوله (قبل موته) يحتمل وجهين: الأول: يعود على عيسى (عليه السلام)، وعلى ذلك يكون المعنى: إنّه لا يوجد أحدٌ من أهل الكتاب إلّا وقد آمن بعيسى (عليه السلام) حينما ينزل إلى الدنيا قبل موت عيسى (عليه السلام)، فتتوحد جميع الأديان على ملة الإسلام، وهو المرجّح بحسب الروايات الواردة بالأثر وبتتبع سياقات النص.

الثاني: يحتمل عود الضمير على الكتابي، وعلى هذا التأويل يكون المعنى: إنّ كلّ كتابي سوف يؤمن بعيسى قبل موته (قبل موت هذا الكتابي) حينما يبصر الموت، ولا ينفعه ذلك.

وأما عودة الضمير في (به) فقيل في عوده على عيسى (عليه السلام)، وقيل إلى الرسول الأكرم (صّلى الله عليه وآله وسلّم)، وقيل لله تعالى. ويرى البحث أنّ الرأي الأصوب في الخطاب الإحالي لعود الضمير في قوله (قبل موته) إنما يرجع إلى عيسى (عليه السلام)، كذلك الضمير في (به)

فسياق النص يوحي بأنّه يرجع إلى عيسى (عليه السلام) وترجيحنا هذا مُستَدلٌ بالقرائن اللغوية والسياقية، وهي الآتية:

- سياق القول في مقام الحديث عن عيسى (عليه السلام)، فسياق ما تقدّم من النص يتمركز الكلام فيه في مسألة صلب عيسى (عليه السلام) وقتله؛ إذ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٦٠].

- الذي يستوقفنا لفظة الإيمان (ليؤمنن)، هل المقصود حقيقة الإيمان القابع في القلب والنابع من عقيدة راسخة، أو مجرد تصديقِ اضطرارٍ وإذعان؟ جاء في معنى الإيمان في اللغة أنّه «الأَمانُ والأَمانةُ بِمَعْنًى. وَقَدْ أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غَيْرِي مِنَ الأَمْن والأَمان. والأَمْنُ: ضدُّ الْخَوْفِ. والأَمانةُ: ضدُّ الخِيانة. والإِيمانُ: ضدُّ الْكُفْرِ. والإِيمان: بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، ضدُّه التَّكْذِيبُ. يُقَالُ: آمَنَ بِهِ قومٌ وكذَّب بِهِ قومٌ»[٦١]. نستشف من المعنى اللغوي أنّ المقصود بالإيمان الوارد في سياق النص هو المعنى اللغوي لا المعنى الراسخ الثابت، وهذا يدلّنا على أنّ الخطاب الإحالي للضمير في (قبل موته) لا يعود إلى الكتابي؛ إذ لو جُعلت إحالة الضمير تعود على كلّ كتابي لاستوجب ذلك إيمانهم جميعًا بعيسى (عليه السلام) وتصديقهم إياه، ولكن التصديق لم يكن حاصلًا منهم جميعًا قبل أن يرفعه الله إليه ويحفظه منهم؛ لذا انتفى عود الضمير على كلّ كتابي.

- مجيء قوله تعالى «لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ» بصيغة المضارع المؤكّد بمؤكّدين (لام التوكيد، ونون التوكيد الثقيلة)، دليل على أنّ ذلك الإيمان، أو التصديق إنما سيحصل في زمن المستقبل، زمن نزول عيسى (عليه السلام) إلى الأرض، لا الزمن الذي هم فيه، وهذا إنما يكون في نهاية الزمان بحسب ما ورد من

الروايات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام).

- ثم لا بدّ للضمير من مرجع أو مفسّربحسب اصطلاح العلماء والمفسرين- يعود عليه ويكون اسمًا ظاهرًا في الأغلب[٦٢]؛ لأنّ إبهام الضمائر وغموضها يجعلنا بحاجة إلى مرجع؛ لإزالة ذلك الغموض الذي يعتري العبارة للوقوف على الدلالة المقصودة[٦٣] ؛ لذلك احتاج ضمير الغائب إلى قرينة وهي المرجع(٦٤)، والمرجع الذي تقدّم في سياق النص هو عيسى (عليه السلام).

- وبحسب قول المفسرين في مسألة توحيد مرجع الضمائر الواردة في سياق واحدٍ؛ فإنّ «عود الضمائر على نسق واحد أولى من اختلافها»[٦٥]، يكون من باب أولى إحالة مرجع الضمائر إلى عيسى (عليه السلام)، وليس إلى الكتابي، أو إلى الله تعالى، أو الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ إذ تعود الضمائر في السياق المتقدّم على عيسى (عليه السلام)، وذلك في (ومَا قَتَلُوهُ، وَمَا صَلَبُوهُ، شُبه لهم).

- كذلك القاعدة القائلة (الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور)[٦٦]، تؤيد إحالة الضمائر على عيسى (عليه السلام). وعلى ما رجحنا ثمة رواية مأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) نؤيد بها ترجيحنا؛ وذلك حينما استشكل على الحجاج التأويل الصحيح في عود الضمير في (موته) هل يعود على المسيح (عليه السلام) أو على الكتابي، نقل عليّ بن إبراهيم في تفسيره هذه الرواية ((...عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج بأنّ آية في كتاب الله قد أعيتني. فقلت: أيّها الأمير، أيّة آية هي؟ قال: قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله إنّي لآمر باليهوديّ والنّصرانيّ فيضرب عنقه ثمّ أرمقه بعيني، فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمد. فقلت: أصلح

الله الأمير ليس على ما تأوّلت. قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدّنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا غيره إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ. قال: ويحك، أنّى لك هذا، ومن أين جئت به؟ فقلت: حدّثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب -عليهم السّلام- فقال جئت بها والله من عين صافية))[٦٧]. أي: إنّ الحجاج أرجع الضمير في «موته» إلى اليهودي، في حين أرجع الضمير شهر بن حوشب إلى عيسى (عليه السلام)، والمعنى: إنّ المسيح (عليه السلام) عند نزوله إلى الدنيا لا يبقى أحدٌ من أهل ذلك الزمان من النصارى واليهود إلا وقد آمن بعيسى على الصفة الحقيقية له قبل موت المسيح (عليه السلام)، ويكون ذلك في زمان الإمام الحجة (عج).

٣- قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[٦٨].

موضع الشاهد في الخطاب الإحالي:

المشكل في الآية الكريمة هو في الخطاب الإحالي لمرجعية الضمائر في (ربه، ويتلوه، ومنه)؛ إذ اختلف المفسرون في هذه المسألة، فقالوا: إنّ الهاء في (يَتْلُوهُ) عائدة على (مَنْ)، ويُراد به النبيُّ الأكرم (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وكذلك الضميران في (مِنْهُ، وقَبلِهِ)،وقيل في عودة الضمير في (ربهِ) أُريد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، وقيل: الضميرُ في (يتْلوهُ) يعود للقرآن، وقيل لأمير المؤمنين، أو لجبريل، وفي (مِنْهُ) لمحمدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وقيل: لجبريل. وكذلك مما اختلفوا فيه وله علاقة بتحديد الخطاب الإحالي للضمائر بما يقتضيه التحليل السياقي للنص هو اختلافهم بمعنى (يتلو) هل هي من التلُو أم من التِلاوة، وكذلك اختلفوا في (الشاهد)؛ إذ ورد فيه

أقوال: فقيل الشاهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وقيل جبريل، أو هو القرآن الكريم، أو هو مَلكٌ يساند النبي، وقيل الشاهد هو أمير المؤمنين (عليه السلام). الاحتمالات في الآية الكريمة متعددة.

آراء العلماء والمفسرين:

- قال الفراء (٢٠٧هـ): ((فالذي على البيِّنة من ربه مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ). وَ(يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) يعني جبريل (عليه السلام) يتلو القرآن، الْهَاء للقرآن. وتَبيانُ ذَلِكَ: ويتلو القرآن شاهد من الله ﴿مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى﴾ رفعتَ الكتاب بِمِن))[٦٩]. يفهم من عبارة الفراء بعود الضمير في (يتلوه) على جبريل أنّه حَمَل (يتلو) على معنى (التِلاوة) أي بمعنى (القراءة).

- قال الطبري(٣١١هـ): ((... وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله: (ويتلوه شاهد منه)، قولُ مَن قال: «هو جبريل»، لدلالة قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، على صحة ذلك. وذلك أنّ نبي الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يتلُ قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال: (عنى به لسان محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم)، أو: محمد نفسه، أو عليّ) على قول مَن قال: عني به علي ولا يعلم أنّ أحدًا كان تلا ذلك قبل القرآن، أو جاء به، ممن ذكر أهل التأويل أنّه عنى بقوله: (ويتلوه شاهد منه)، غير جبريل عليه السلام))[٧٠]. أي: إنّ يتلو عنده بمعنى يقرأ.

- قال الزمخشري (٥٣٨هـ): ((... وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلّام وغيره، كان على بينة (مّن رَّبّهِ) أي على برهان من الله وبيان أنّ دين الإسلام حق وهو دليل العقل، وَ(يَتْلُوهُ) ويتبع ذلك البرهان (شَاهِدٌ مّنْهُ) أي شاهد يشهد بصحته، وهو القرآن (مِنْهُ) من الله، أو شاهد من

القرآن... (وَمِن قَبْلِهِ)، ومن قبل القرآن (كِتَابُ مُوسَى) وهو التوراة، أي: ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى))[٧١].أي: إنّ الزمخشري أرجع الضمير في (ربهِ) إلى عبدالله بن سلّام من اليهود، والضمير في(مِنه) جعله عائدًا إلى (الله)، والهاء في (قبلهِ) إلى القرآن، وهو تأويلٌ بعيدٌ بحسب سياقات النص المتقدم؛ إذ سياق المقام فيه واقع موقع مواساة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتقوية ما عنده من البرهان في أمره؛ بدليل ما جرى عليه الخطاب في سياق ما تقدم من الآيات، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧٢] ؛ إذ كان توجيه الخطاب إلى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتى انتهى إلى اتهام قومه له بالافتراء على الله جاء الأمر الربانيّ بأن يلقي الحُجةَ عليهم وأن يتحداهم بالاتيان بعشر سورٍ مفترياتٍ، ثم جاء السياق لتطيب نفسه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وإثبات أنّ ما عنده من برهان ساطع من عند الله تعالى[٧٣].

- قال الفخر الرازي (٦٠٦): ((إنّ هذا الذي وصفه الله تعالى بأنّه على «بيِّنةٍ مِن ربهِ» مَن هو فقيل: المراد به النبي عليه الصلاة والسلام، وقيل المراد به مَن آمن من اليهود كعبدالله بن سلّام وغيره وهو الأظهر لقوله تعالى في آخر الآية تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وهذا صيغة جمع فلا يجوز رجوعه إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)... والضمير في «يتلوه» يرجع إلى معنى البيِّنة، وهو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو القرآن «ومنه» أي من الله ومن قبله كتاب موسى... فالحاصل أنّه يقول اجتمع في تقرير صِحة هذا الدين أمور ثلاثة أولها: دلالة البينات العقليّة على صحتهِ، وثانيها: شهادة

القرآن بصحتهِ، وثالثها: شهادة التوراة بصحتهِ، فعند اجتماع هذه الثلاثة لا يبقى في صحتهِ شك، ولا ارتياب فهذا القول أحسن الأقاويل في هذه الآية وأقربها إلى مطابقة اللفظ))[٧٤].

- قال ابن عادل (٧٧٥هـ): ((﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: يتبعه من يشهد له بصدقه. واختلفوا في هذا الشَّاهد: فقال ابنُ عبَّاسٍ، وعلقمة، وإبراهيم، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك وأكثرُ المفسِّرين: إنَّه جبريلعَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وقال الحسنُ وقتادةُ: هو لسانُ رسول الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم))[٧٥]. وبعد عرض آراء المفسرين يترجح لدينا أنّ الخطاب يحيل في عودة الضمائر في (ربهِ، ومنه، ويتلوه، من قبلهِ) إلى شخص الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب القرائن اللغوية والمقامية الواردة في النص، وهي الآتية:

- سياق المقام فيما تقدّم من الآيات الكريمة مسوقة؛ لتطييب نفس الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتقوية حجته، وعلى ذلك فإنّ توحيد الضمائر وإرجاعها إلى مرجع واحد أولى من تفريقها بحسب ما قعّد له المفسرون[٧٦]، وعليه فإنّ الضمائر في «ربّهِ، ومنه، قبله» عائدة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ الكلام جارٍ في الآيات المتقدمة من توجيه الخطاب لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما اتهموه بالافتراء على الله سبحانه وتعالى، فأمره الله بتحديهم أن يأتوا بعشر سورٍ مفترياتٍ بحسب ادعائهم، فالمقام مقام إثبات البراهين الساطعة والأدلة النيرة التي يحملها القرآن.

- هناك محذوف يدلّنا عليه السياق ويقتضيه ظاهر اللفظ، تقديره: أفمن كان على بيّنةٍ من ربه، كمَن كفرَ بالله وكذّب أنبياءه[٧٧]، وهذا الحذف يؤيد كون البيّنة هي الحجة الدامغة والبراهين

الساطعة، وهو ما جاء به الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وبذلك ينتفي تأويل البينة بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما ذهب إليه بعض المفسرين[٧٨]، فتكون إحالة الضمائر إلى شخص الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هي الأرجح والله أعلم.

- بما أنّ المقام هو مقام تطييب لنفس النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومقام احتجاج وإثبات البراهين الإلهية التي وُهبت للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فإنّ ذلك يستدعي وجود «شاهد»؛ لأنّ إثبات صحة حكمٍ ما لا بدّ فيه من توافر مسألتين، هما: الأولى، الدليل الواضح «البينة»، والثانية: الشاهد، كي تكون الحجة دامغة، وبما أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الرسول الحق من الله تعالى فالحُجج والبصائر الإلهية إلهام من «ربهِ»، فتبيّن بالدليل العقلي أنّ الهاء في «ربهِ» عائدة إلى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم). لا إلى عبد الله بن سلّام كما قيل بقرينة السياق المقامي.

- وتأسيسًا على ماتقدّم فإنّ من صفات الشاهد أنّ يكون مصدّقًا بتلك البصائر الإلهية والبراهين النيرة المنزّلة على النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومؤازرًا له ومؤمنًا به، وشهد بأنّه حقٌّ في كل ما أوتي به، فهو إذن يتبعه في ذلك الأمر، وعلى هذا فإنّ دلالة الفعل «يتلو» جاءت في هذا المقام من التلُو وليس من التِلاوة، كما ذهب جماعة من المفسرين إلى أنّه من التلاوة بمعنى القراءة[٧٩]، دليلنا على ذلك ما جاء في متن اللغة في دلالة مادة «تلا» يُقال: ((تَلَوْتُه أَتلُوه وتَلَوْتُ عَنْهُ تُلُوّاً، كِلَاهُمَا: خَذَلته وَتَرَكْتُهُ. وتَلا عَنِّي يَتْلُو تُلُوّاً إِذَا تَرَكَكَ وتخلَّف عَنْكَ، وَكَذَلِكَ خَذَل يَخْذُل خُذُولًا. وتَلَوْته تُلُوّاً: تَبِعْتُهُ. يُقَالُ: مَا زِلْتُ أَتْلُوه حَتَّى أَتْلَيْته أَي تَقَدَّمْته وَصَارَ خَلْفِي. وأَتْلَيْته

أَي سَبَقْتُهُ... وتِلْوُ الشَّيْءِ: الَّذِي يَتلُوه. وَهَذَا تِلْوُ هَذَا أَي تَبَعُه... وَنَاقَةٌ مُتْلٍ ومُتْلِية: يَتْلوها وَلدُها أَي يَتْبَعُهَا.))[٨٠].

وعليه فإنّ ذلك الشاهد من دون ريب يتبع مَن كان على بينة، ودليل واضح تدعمه الحجج الإلهية والحقائق الربانيّة الجليّة.

- ﴿ومِن قبلِهِ كتابُ موسى﴾، ورد في إعرابها وجهان، الأول: الرفع على الابتداء، فيكون المعنى: ويتلوه من قبله كتابُ موسى؛ لأنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) موصوف في كتاب موسى (عليه السلام) يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ[٨١]، والوجه الثاني: بالعطف على «شاهدٍ»، فيكون المعنى: إنّ التوراة والإنجيل يتلوان محمدًا في التصديق، والتقدير: شاهدٌ مِنهُ وكِتابُ موسى مِن قَبلِهِ[٨٢]. والعطف أرجح؛ لأنّه يحمل معنى «يتلو» على «التلو لا التلاوة» بمعنى الاتباع؛ إذ اشترك المتعاطفان بحكمٍ واحدٍ، وهذا يتعاضد مع كون الشاهد هو الموقِن به حقًا، وبذلك تكون دعوته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد ثَبتَتْ وتبيّنت بطرائق ثلاثٍ: القرآن الكريم وهو البيِّنة والدليل الواضح، وما سبق نبوته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من كتب سماوية أشارت إلى أوصافه بدقة، وأنصاره الخُلّص المؤيدين والمساندين له، فمع وجود هذه الدلائل الجليّة هل يقاس بغيره من المدّعين، أو هناك تردد في اتباع دعوته؟؟[٨٣]. ومن هذا المنطلق التحليلي اللغوي والمقامي كان حريًا أن تنطبق الرواية التي تقول بأنّ الشاهد هو أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وهذا ما ورد بالأثر عن أهل البيت (عليه السلام)، جاء في تفسير العياشي: ((عن جابر عن عبدالله بن يحيى قال: سَمِعْتُ عليًا (عليه السلام) وهو يقول: ما مِن رَجُلٍ من قريش إلّا وقد أنزلت فيه آية، أو آيتان مِن كتابِ اللهِ، فقال له رَجلٌ من القوم: فما نزل

فيكَ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الاية التي في هود ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على بيِّنة من ربّهِ، وأنا الشاهدُ))[٨٤].

٤- قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٨٥].

موضع الشاهد في الخطاب الإحالي:

المشكل في الآية الكريمة يدور في مرجعية الضمير في (فناداها)؛ إذ اختلف العلماء في مَن المنادي لمريم (عليه السلام)، فكان لهم في ذلك قولان، الأول: هو عيسى (عليه السلام)، والثاني: جبريل (عليه السلام).

آراء العلماء والمفسرين:

- قال الطبري(٣١١هـ): ((وأولى القولين في ذلك عندنا قول مَن قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنّه من كناية ذِكره أقرب منه من ذِكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقربُ إليه أولى مِن ردّه على الذي هو أبعدُ منه))[٨٦].

- قال الفخر الرازي(٦٠٦هـ): ((في المنادي ثلاثة أوجه الأول: إنّه عيسى (عليه السلام) وهو قول الحسن وسعيد بن جُبير، والثاني: إنّه جبريل (عليه السلام) وإنّه كان كالقابلة للولد، والثالث: إنّ المنادي على القراءة بالكسر هو (المَلَك)، وعلى القراءة بالفتح هو عيسى (عليه السلام) وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم، والأول أقرب لوجوه الأول: إنّ قوله: (فَنَادَاهَا مَن تَحْتِهَا) بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد عُلِمَ قبل ذلك أن تحتها أحدًا والذي عُلِم كونه حاصلًا تحتها هو عيسى (عليه السلام) فوجب حمل اللفظ عليه... أن قوله (فناداها) فِعلٌ ولا بدّ وأن يكون فاعله قد تقدّم ذِكرُه ولقد تقدّم قبل هذه الآية ذِكرُ جبريل وذِكرُ عيسى (عليهما السلام) إلا أنّ ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾، والضمير ههنا

عائد إلى المسيح))[٨٧].

- قال القرطبي (٦٧١هـ): ((فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا قُرِىء بفتح الميم وكسرها، قال ابن عباس: المراد بـ (مِن) جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وقاله علقمة والضحاك وقتادة... وقيل: ناداها عيسى... والأول أظهر، وقرأ ابن عباس (فناداها ملك من تحتها) قالوا: وكان جبريل (عليه السلام) في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت هي عليها))[٨٨]. أي إنّه رجّح إحالة الخطاب إلى جبريل (عليه السلام).

- قال السمين الحلبي(٧٥٦هـ): ((مِن تَحْتِهَآ... تقتضي أن يكونَ الفاعلُ في (نادَى) مضمراً وفيه تأويلان، أحدهما: هو جبريل ومعنى كونِه (مِن تَحْتِهَا) أنه في مكانٍ أسفلَ منها، ويَدُل على ذلك قراءةُ ابنِ عباس (فناداها مَلَكٌ مِنْ تحتها): فَصَرَّح به، و(مِن تَحْتِهَا) على هذا فيه وجهان أحدهما: إنّهُ متعلقٌ بالنداء، أي: جاء النداء مِنْ هذه الجهةِ، والثاني: إنّه حالٌ من الفاعل، أي: فناداها وهو تحتَها. وثاني التأويلين: إنَّ الضمير لعيسى، أي: فناداها المولودُ مِنْ تحت ذَيْلها، والجارُّ فيه الوجهان: مِنْ كونِه متعلِّقاً بالنداء، أو بمحذوفٍ على أنه حالٌ. والثاني أوضح. والقراءةُ الثانية: تكون فيها (مَنْ)موصولةً، والظرفُ صلتُها، والمرادُ بالموصولِ: إمَّا جبريلُ، وإمَّا عيسى...والضمير في(تحتها) إمَّا لمريمَ (عليها السلام)، وإمَّا للنخلةِ، والأولُ أَوْلَى لتوافُقِ الضميرين))[٨٩]. والذي نذهب إليه أنّ المُنَادِي لمريم (عليها السلام) هو عيسى فيكون إرجاع الضمير إليه هو الأرجح بحسب القرائن اللغوية والسياقية المستدلّ عليه من النص القرآني، وهي الآتية:

- بحسب القاعدة النحوية أّننا إذا أردنا إرجاع الضمير إلى الفاعل فيكون إرجاعه إلى أقرب متحدث عنه في

السياق، ومحور الحديث في سياق ما تقدّم من الآية الكريمة يدور في عيسى بدليل قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[٩٠].

- لو كان جبريل هو المقصود من قوله تعالى {مِن تَحتِها}، لكان من باب أولى أن يرِد سياق الكلام (مِن فوقها) كونه مَلَكًا منزّلًا من السماء، أو تكون العبارة (عَن جانِبِها)، كما تمثّل لها بشرًا سويًا، فالمعنى الأقرب هو عيسى (عليه السلام)، كون الوضع الطبيعي للأم في حالة الولادة أن يكون وليدها تحتها، هذا ما جرت عليه نواميس الطبيعة.

- ثم إنّ هناك إشارات في النص تشير إلى أنّ المنَادِي هو عيسى، قولها (فأشارت إليه)[٩١]، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٩٢]، طلبت منهم تكليم عيسى بعد اتهامهم إياها بالسوء والبغي، ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٩٣]؛ أي: إنّها يقينًا تعلم بأنّه سيتكلم؛ لأنّها سبق وأن سَمِعته لذلك ألقت الحُجّة عليهم وقلبُها مطمئن، وهذا يناسب ما جاء في النداء ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٩٤]، فَمِن دواعي الاطمئنان أن تكون لديك بيّنة ودليلٌ واضحٌ فتكون حجتك قويّة، ودليلُها البيّن هو نطق عيسى في المهد.

- سياق النص في مقام ذِكر المعجزات منها، ولادة عيسى (عليه السلام) بدون أبٍ، ونطقُهُ وهو في المهد، كذلك النخلةُ؛ إذ قيل إنّها كانت يابسةً وغيرَ مثمرةٍ بحسب ما ذكره المفسرون[٩٥]، ولكن هذه الرواية تتنافى مع سياق النص؛ إذ قال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٩٦]، فهي إذن معجزة تنضم إلى ماذكره السياق في حديثه عن عيسى ومريم (عليهما السلام)، فبذلك تميل كفة الترجيح إلى إرجاع الضمير إلى عيسى (عليه السلام) في (فناداها)؛

فهو من باب المعجزة.

– ثم إنّ السريّ في اللغة تحتمل معنيين، هما: السيد الرفيع الشرف في قومه، والنهر أو الجدول الصغير، جاء في متن اللغة في مادة (سرا): ((السَّرْوُ: المُروءَةُ والشَّرَفُ. سَرُوَ يَسْرُو سَراوَةً وسَرْواً أَي صَارَ سَرِيّاً؛ الأَخيرة عن سيبويه واللحياني... قال الشَّاعِرُ:

تَلْقَى السَّرِيَّ مِنَ الرِّجَالِ بِنفسه

وابنُ السَّرِيِّ، إِذَا سَرَا، أَسْراهُما

أَي: أَشْرَفُهما... وَمَعْنَى سَرُوَ الرجلُ يَسْرُو، أَي: ارْتَفَع يَرْتَفِع، فَهُوَ رَفِيعٌ، مأْخوذ مِنْ سَرَاةِ كلِّ شَيْءٍ مَا ارْتَفَع مِنْهُ وعَلا... رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنه كَانَ يَقُولُ: كَانَ وَاللهِّ سَرِيّاً مِنَ الرِّجَالِ، يَعْنِي عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُسَمِّي النَّهْرَ سَرِيّاً، فَرَجَعَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنه قَالَ: السَّرِيُّ الجَدْول، وَهُوَ قَوْلُ أَهل اللُّغَةِ))[٩٧]. والمعنيان يحتملهما السياق؛ إذ شرّف الله شأن نبيه عيسى (عليه السلام) بأنّه يبرئ الأكمه ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه الطير فيصير طيرًا بإذن الله، ويحتمل (السّريّ) في السياق النَهرَ أيضًا بدليل القرينة السياقية ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾، فجمع الله لها ما تطمئن له النفس، وتقرّ بهِ العينُ (الأنيس، والماء، والغذاء).

– برًا بوالدتي، وما ينضوي تحت لفظة (البرّ)، من إحسانٍ للوالدين بالفعل والقول، قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٩٨]، تطيّب بهما أنفسهما وبذلك يكون قول عيسى ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ لتطمين قلبها وتسليتها، وهذا يدلّ على أنّ مَن ناداها هو عيسى (عليه السلام). ونقل لنا الطبرسي رواية عن الصادق (عليه السلام) تؤيد ما ذهبنا إليه في تحليلنا لسياقات النص القرآني، قال فيها: ((قيل: ضرب جبرائيل (عليه السلام) برجله فظهر ماء عذب. وقيل: بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين

ماء تجري وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام))[٩٩]. فيكون هو المنادي لها بقوله لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا، والله أعلم بالصواب.

٥- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٠٠].

موضع الشاهد في الخطاب الإحالي:

المشكل في الآية الكريمة هو عود الضمير في (ينفقونها)؛ إذ اختلف العلماء علامَ يعود الضمير؛ إذ تقدّم على الضمير عائدان (الذهب والفضة)، فبعضهم أحاله على الذهب، والآخر على الفضة ولكلٍّ تعليله فيما تأوّل. وسنعرض آراء العلماء نقاشًا وترجيحًا محتكمين في ذلك إلى السياق اللغوي والمقامي.

-آراء العلماء والمفسرين:

- قال البغوي(٥١٦هـ): ((قيل: لِمَ قال: وَلا يُنْفِقُونَها، وَلَمْ يَقُلْ: وَلَا يُنْفِقُونَهُمَا، وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ جَمِيعًا؟ قِيلَ: أَرَادَ الْكُنُوزَ وَأَعْيَانَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَقِيلَ: رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الْفِضَّةِ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ﴾ [١٠١]، رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ لأنها أعمُ»[١٠٢].

- قال الزمخشري (٥٣٨هـ): ((فإن قلتَ: لِمَ قيل: ولا ينفقونها، وقد ذكر شيئان؟ قلتُ: ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ؛لأنّ كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم، فهو كقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾))[١٠٣].

- قال الرازي (٦٠٦هـ): ((وفيه وجهان، الأول: إنّ الضمير عائدٌ إلى المعنى من وجوه أحدها: إنّ كلّ واحدٍ منهما جملة وآنية دنانير ودراهم فهو كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، وثانيها: أن يكون التقدير: ولا ينفقون الكنوز، وثالثها: قال الزجاج[١٠٤] التقدير: ولا ينفقون تلك الأموال.

الوجه الثاني: أن يكون الضمير عائدًا إلى اللفظ وفيه وجوه، أحدها: أن يكون التقدير: ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب؛ لأنّه داخل في الفضة من حيث إنهما معاً يشتركان في ثُمنية الأشياء وفي كونهما جوهرين شريفين، وفي كونهما مقصودين بالكنز فلما كانا متشاركين في أكثر الصفات كان ذكر أحدهما مغنياً عن ذكر الآخر، وثانيها: إنّ ذِكرَ أحدِهما قد يغني عن الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّواْ إِلَيْهَا﴾ [١٠٥]... فجعل الضمير للإثم، وثالثها: أن يكون التقدير ولا ينفقونها والذهب كذلك، كما أنّ معنى قوله:

وإنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ، أي وقيار كذلك)) [١٠٦].

- قال أبو حيان(٧٤٥هـ): ((والضمير في: (ولا ينفقونها(عائدٌ على الذهب؛ لأن تأنيثه أشهر، أو على الفضة. وحذف المعطوف في هذين القولين أو عليهما باعتبار أن تحتهما أنواعًا، فرُوعِيَ المعنى كقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ﴾ أو؛ لأنّهما محتويان على جمع دنانير ودراهم، أو على المكنوزات، لدلالة يكنزون، أو على الأموال، أو على النفقة وهي المصدر الدالّ عليه)) [١٠٧].

والذي نراه أنّ الضمير في (ينفقونها) عائدٌ على كل ما يندرج تحت لفظة كنز فيضم المال والذهب والفضة وغير ذلك من الأشياء الثمينة، مستدلين بالأدلة اللغوية والسياقية، وهي الآتية:

- ورد في متن اللغة أنّ معنى كنز: ((المَالُ المَدْفُونُ، وَجَمْعُهُ كُنُوزٌ، كَنَزَهُ يَكْنِزُه كَنْزاً واكْتَنَزَهُ.... قَالَ شَمِرٌ: قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ عَمْرٍو الباهِلِيُّ الكَنْزُ الفِضَّة فِي قَوْلِهِ:

كأَنَّ الهِبْرِقِيَّ غدا عَلَيْهَا

بماءِ الكَنْزِ أَلْبَسَه قَراها

قَالَ: وَتُسَمِّي العربُ كلَّ كَثِيرٍ مَجْمُوعٍ يُتَنَافَسُ فِيهِ كَنْزًا... اللَّيْثُ: يُقَالُ كَنَزَ الإِنسانُ مَالًا يَكْنِزُه. وكَنَزْتُ

السِّقاءَ إِذا ملأْته. ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْكَهْفِ: وَكانَ تحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما؛ قَالَ: مَا كَانَ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَكِنْ كَانَ عِلْماً وصُحُفاً))[١٠٨]. يُفهم من المعنى اللغوي أنّ كلّ شيء ثمين يندرج تحت لفظة (كنز)، ولا يختصّ بالذهب والفضة.

- مجيء الذهب والفضة في سياق العطف بحرف العطف (الواو) ينفي كون الضمير عائدًا إلى أحدهما دون الآخر؛ لأنّ الواو تدلّ على مشاركة المتعاطفين حكمًا ومعنًى مطلقًا[١٠٩]. فيكونا داخلَين في عدم الإنفاق، وما يترتّب عليه من حكمٍ.

-أما ما قيل أنّ (الواو) في هذا الموضع تكون بمعنى (أو) العاطفة، تنفيه القاعدة النحوية؛ لأنّ العطف بـ (أو) يقتضي اشتراك المتعاطفين بشكلٍ مقيّدٍ[١١٠]. فلا يجوز الجمع بينهما في الحكم فيكون الكنز خاصًا أما بالذهب أو الفضة، وهذا لا يتناسب مع المعنى اللغوي لـ (كنز)؛ لأنّه يدخل تحته كل ما هو ثمين.

- وبما أنّ المقام مقام تهديد ووعيد لكانزي الأموال دلّ ذلك على أنّ العائدَ عليه الضمير في (ينفقونها) هي الأموال باعتبار المعنى لا اللفظ؛ إذ تقدّم الضمير مرجعان الذهب والفضة وكان من المتوقع أن يعود الضمير على المرجعين بصيغة المثنى فتكون العبارة (ينفقونهما)، ولكن السياق جاء بصيغة المفرد المؤنث، ويرى البحث أنّ تأويل ذلك -بحسب السياق اللغوي- يعود حملًا على معنى الأموال؛ يدلّنا على ذلك مجيء (يكنزون) في سياق ما تقدّم من النص، فـ((الذي يبغضه الله من الكنز ما يلازم الكف عن إنفاقه في سبيل الله إذا كان هناك سبيل... فالآية ناظرة إلى الكنز الذي يصاحبه الامتناع عن الإنفاق في الحقوق المالية الواجبة لا بمعنى الزكاة فقط بل بمعنى يعمها))[١١١]. وإنما خصّ

الذهب والفضة بالذكر؛((لأنّهما قانون التموّل وأثمان الأشياء وذكر كنزهما دليلٌ على ما سِواهما))[١١٢]، وجاء في الأمالي مما ورد بالأثر عن الإمام الصادق(عليه السلام) ما يُحمل على ذلك المعنى، ما نصّه ((عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ (عليه السلام)،عَنْ أَبِيهِ أَبِيْ جَعْفَرٍ(عليه السلام)،أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الدَّنَانِيرِ وَ الدَّرَاهِمِ، وَ مَا عَلَى النَّاسِ فِيهَا؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ(عليه السلام):(هِيَ خَوَاتِيمُ اللهَّ فِي أَرْضِهِ، جَعَلَهَا الله مَصْلَحَةً لِخَلْقِهِ، وَ بِهَا تَسْتَقِيمُ شُؤونُهُمْ وَ مَطَالِبُهُمْ، فَمَنْ أُكْثِرَ لَهُ مِنْهَا فَقَامَ بِحَقِّ اللهَّ تَعَالَى فِيهَا، وَ أَدَّى زَكَاتَهَا، فَذَاكَ الَّذِي طَابَتْ وَ خَلُصَتْ لَهُ، وَ مَنْ أُكْثِرَ لَهُ مِنْهَا فَبَخِلَ بِهَا، وَ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللهَّ فِيهَا، وَ اتَّخَذَ مِنْهَا الْأَبْنِيَةَ، فَذَاكَ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِ وَعِيدُ اللهَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي كِتَابِهِ، يَقُولُ الله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[١١٣]))[١١٤]. وفي تفسير الْعَيَّاشِيُّ: عن أَبِي جَعْفَرٍ(عليه السلام)، فِي قَوْلِ اللهَّ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ﴾، قَالَ: ((إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ مَا جَاوَزَ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ))[١١٥].

الخاتمة:

- برز أثر السياق اللغوي وأخص الدلالة المعجميّة في حسم الإشكال الحاصل بين المفسّرين في تحديد مرجعية الخطاب الإحالي.

- كذلك حسم السياق اللغوي والمقامي مشفوعًا بالروايات المأثورة الإشكال والجدال الحاصل بين المفسّرين في بعض الآيات.

- قاعدة عود الضمير على الأقرب التي أقرّها النحويونوهو رأي الكوفيين- ليس بالضرورة تحققها في

كلّ موردٍ ترد فيه، بل ربما يعود الضمير إلى الأبعد بحسب القرائن اللفظيّة، أو عود الضمير على تأويل المعنى لا اللفظ كما في آية ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾.

- الاختلاف في سبب النزول كان له الأثر في حصول الإشكال في تحديد الخطاب الإحالي لضمير الغيبة على مَن يعود.

الهوامش:

١- شرح التسهيل: ١/ ١٥٦.

٢- لسان العرب، مادة (ضمر): ٤/ ٤٩١- ٤٩٢.

٣- شرح المفصل: ٢/ ٢٩٤.

٤- شرح الكافية الشافية:١/ ٢٢٥.

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ٩٩.

٦- ينظر: معاني النحو١/ ٤٢.

٧- الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة: ٢٥٢- ٢٥٣.

٨- ينظر: النحو المصفى ١٣٤.

٩- اللغة العربية معناها ومبناها: ١١٠.

١٠- ينظر: المصدر نفسه ١٠٨- ١٠٩.

١١- ينظر: المقتضب ٣/ ١٨٦، وشرح المفصل ٢/ ٢٩٢- ٢٩٣، وشرح التسهيل ١/ ١١٦.

١٢- شرح التسهيل: ١/ ١١٦.

١٣- الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والشكل):١٥٨.

١٤- سورة المائدة: ٨.

١٥- سورة النساء: ١١.

١٦- ينظر: شرح الرضي ٢/ ٤٠٢- ٤٠٣.

١٧- سورة البقرة: ١٢٤.

١٨- سورة طه: ٦٧.

١٩- سور القدر: ١.

٢٠- سورة الأنبياء: ٩٧.

٢١- ينظر: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ٤٢- ٤٣.

٢٢- الشكل والدلالة: ١٥٥.

٢٣- ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ٢٤- ٢٥.

٢٤- سورة الحج: ٥٢.

٢٥- سورة النجم: ١- ٢.

٢٦- سورة النجم: ١٩- ٢٠.

٢٧- سورة الإسراء: ٧٣.

٢٨- ينظر: جامع البيان ١٨/ ٦٦٣، معاني القرآن وإعرابه للزجاج

١/ ١٥٩، معالم التنزيل٣/ ٣٤٦-٣٤٧، الكشف والبيان ٧/ ٢٩.

٢٩- سورة النجم: ٣- ٤.

٣٠- سورة يونس: ١٥

٣١- سورة الحجر: ٣٩- ٤٢.

٣٢- سورة النجم: ١٩- ٢٣.

٣٣- ينظر: الدر المصون ٨/ ٢٩٣.

٣٤- ينظر: اللباب ١٤/ ١٢٤.

٣٥- ينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٥٢.

٣٦- ينظر: محاسن التأويل ٦/ ٤٠٧، ٧/ ٢٥٤، ٧/ ٢٦٧.

٣٧- سورة الذاريات: ٥٢- ٥٣.

٣٨- سورة الأنعام: ١٢١.

٣٩- سورة الأنعام: ١١٢.

٤٠- سورة البقرة: ١٧٢.

٤١- سورة الأنبياء: ٩٨.

٤٢- ينظر: روح المعاني٩/ ١٦٩.

٤٣- سورة الحجر: ٩.

٤٤- ينظر: تفسير الشعراوي١٦/ ٩٨٧٣.

٤٥- ينظر: النحو الوافي ٣/ ٦٥٩.

٤٦- ينظر: تفسير الشعراوي ١٦/ ٩٨٧٣.

٤٧- لسان العرب، مادة (نسخ): ٣/ ٦١.

٤٨- ينظر: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن ٢٦.

٤٩- مفاتيح الغيب: ٢٣/ ٤٨.

٥٠- ينظر: تفسير القمي ٢/ ٨٨- ٨٩.

٥١- سورة النساء: ١٥٩.

٥٢- معاني القرآن: ١/ ٢٩٤- ٢٩٥.

٥٣- معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ١٣٠.

٥٤- معالم التنزيل: ١/ ٧١٩- ٧٢٠.

٥٥- أخرجه أبو داود في سننه٤٣٢٤، وابن حبان في صحيحه ٦٨٢١ من حديث أَبِي هُرَيْرَة.

٥٦- معالم التنزيل: ١/ ٧١٩- ٧٢٠.

٥٧- الكشاف: ١/ ٦٢٣.

٥٨- سورة النساء: ٥٨.

٥٩- التحرير والتنوير: ٦/ ٢٤.

٦٠- سورة النساء: ١٥٧.

٦١- لسان العرب، مادة (أمن) ١٣/ ٢١.

٦٢- ينظر: الإتقان ٢/ ٣٣٤، الكليات ٥٦٨.

٦٣- ينظر: الصفوة من القواعد الإعرابية ٩٨.

٦٤- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١١٠- ١١١.

٦٥- البحر المحيط: ٣/ ٥٥٠.

٦٦- ينظر: النحو الوافي ١/ ٢٦١.

٦٧- تفسير القمي: ١/ ١٥٨.

٦٨- سورة هود: ١٧.

٦٩- معاني القرآن: ٢/ ٦.

٧٠- جامع البيان:١٥/ ٢٧٦.

٧١- الكشاف: ٢/ ٣٦٥.

٧٢- سورة هود: ١٣

٧٣- ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١٠/ ٤٢٩.

٧٤- مفاتيح الغيب: ١٧/ ١٦١.

٧٥- اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٤٥٧.

٧٦- ينظر: الاتقان ٢/ ٣٣٧، والبحر المحيط ٣/ ٥٥٠.

٧٧- ينظر: المحرر الوجيز٣/ ١٥٩.

٧٨- ينظر: زاد المسير٢/ ٣٦٢.

٧٩- ينظر: جامع البيان ١٥/ ٢٧٠، تأويلات أهل السنة ٦/ ١١٠.

٨٠- لسان العرب، مادة (تلا): ١٤/ ١٠٢.

٨١- ينظر: إعراب القرآن للنحاس٢/ ١٦٤، والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ٦٩٢.

٨٢- ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن٢/ ٤٥٩.

٨٣- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١١/ ٣٦.

٨٤- تفسير العياشي: ٢/ ٣٠٣- ٣٠٤، وينظر: البرهان في تفسير القرآن مج ٤، ١٢/ ٨٩.

٨٥- سورة مريم: ٢٤.

٨٦- جامع البيان: ١٨/ ١٧٤.

٨٧- مفاتيح الغيب: ٢١/ ١٧٤.

٨٨- الجامع لأحكام القرآن:١١/ ٩٣- ٩٤.

٨٩- الدر المصون: ٧/ ٥٨٣.

٩٠- سورة مريم: ٢٢.

٩١- ينظر: مفاتيح الغيب ٢١/ ١٧٨.

٩٢- سورة مريم: ٢٩.

٩٣- سورة مريم: ٢٨.

٩٤- سورة مريم: ٢٤.

٩٥- ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ١١- ١٢، وزاد المسير ٣/ ١٢٥.

٩٦- سورة مريم: ٢٥

٩٧- لسان العرب، مادة (سرا): ١٤/ ٣٧٧- ٣٨٠.

٩٨- سورة الإسراء: ٢٣.

٩٩- مجمع البيان: ٦/ ٣١٩.

١٠٠- سورة التوبة:٣٤.

١٠١- سورة البقرة: ٤٥.

١٠٢- معالم التنزيل: ٢/ ٣٤٤.

١٠٣- الكشاف:٢/ ٢٥٥.

١٠٤- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٤٤٥.

١٠٥- سورة الجمعة: ١١

١٠٦- مفاتيح الغيب:١٦/ ٣٨- ٣٩.

١٠٧- البحر المحيط:٥/ ٣٩.

١٠٨- لسان العرب، مادة (كنز): ٥/ ٤٠١- ٤٠٢.

١٠٩- ينظر: معاني النحو ٣/ ٢١٦.

١١٠- ينظر: معاني النحو ٣/ ٢٥١.

١١١- الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ١٨٥.

١١٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل:١ / ٦٧٧.

١١٣- سورة التوبة: ٣٥.

١١٤- الأمالي: ١٨/ ٧٦٦- ٧٦٧.

١١٥- تفسير العياشي: ٢/ ٢٣١.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

١-الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢-إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٣-الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة (دراسة تفسيريّة): د. محمود عبد السلام شرف الدين، دار مرجان- مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٤-الأمالي: لشيخ الطائفة أبي جعفرٍ محمدٍ بن الحسن بن عليّ الطوسي (٣٨٥هـ)، ولابنه أبي عليّ الحسن بن محمدٍ بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري، الأستاذ عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة- طهران، ١٣٨١هـ.

٥-الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل: العلّامة المفسّر آية الله الشيخ ناصر مكارم الشّيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م.

٦-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

٧-البحر المحيط :محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، ود. أحمد النجولي الجمل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميةلبنان/ بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤٢٢ هـ٢٠٠١ م.
٨-البرهان في تفسير القرآن: للعلّامة المحدّث السيّد هاشم البحراني المتوفى (١١٠٧هـ)، حقّقه وعلّق عليه (لجنة من العلماء المحقّقين والأخصائيين)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.
٩-البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله(المتوفى:٧٩٤هـ)، دار المعرفةبيروت، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٣٩١م.
١٠-تأويلات أهل السنة: : محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلميةبيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ٢٠٠٥م.
١١-التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، وعيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
١٢-التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، ١٩٩٧ م.
١٣-تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
١٤-تفسير العياشي: للشيخ أبي النضر محمد بن مسعودٍ العياشيّ (٣٢٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة/ مؤسسة البِعثة/ قم، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـق.
١٥-تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرنين ٣-٤ هـ)، صحّحه وعلّق عليه وقدّم له حجة الإسلام العلّامة: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، منشورات مكتبة الهدى- مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ.
١٦-جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري

(المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ٢٠٠٠ م.

١٧-الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات الحديثة: د. شيماء رشيد زنكنة، تقديم: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي، دار دجلة- عمان، الطبعة الأولى- ٢٠١٥.

١٨-الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٩-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٠-زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٢٢ هـ.

٢١-سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدابيروت.

٢٢-شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى -١٤١٠هـ١٩٩٠م.

٢٣-شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأستراباذي (المتوفى: ٦٨٦هـ)، طبعة جديدة مصححة ومذيلة بتعليقات مفيدة، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر الاستاذ بكلية اللغة

العربية والدراسات الاسلامية كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية- جامعة قاريونس، ١٣٩٨ هـ١٩٧٨ م.

٢٤-شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

٢٥- شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ٢٠٠١ م.

٢٦-الشكل والدلالة (دراسة نحويّة للفظ والمعنى): د. عبد السلام السيد حامد، دار غريب- القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٧-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ١٩٩٣م.

٢٨-الصفوة من القواعد الإعرابيّة: د. عبد الكريم بكّار، دار القلم- دمشق، طبعة خاصة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة- قطر، ١٤٣٥هـ٢٠١٤م.

٢٩-قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريمالكويت، ١٤٠٠هـ.

٣٠-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفى ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣١-الكليات أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي المتوفى(١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويشمحمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٢-اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣٣-لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة١٤١٤ هـ.

٣٤-اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٥- المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ.

٣٦-مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٧-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميةلبنان١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٨-مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدّم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ١٩٩٩م.

٣٩-معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، الطبعة الأولى.

٤٠- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ١٩٨٨ م.

٤١- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن، الطبع: الأولى، ١٤٢٠ هـ٢٠٠٠ م.

٤٢-مفاتيح الغيب: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ٢٠٠٠ م.

٤٣-المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.

٤٤-الميزان في تفسير القرآن: للعلّامة السيّد مُحَمد حُسَين الطّباطَبائي، تقديم: سماحة آية الله جوادي آملي، دار الأضواء(بيروت- لبنان).

٤٥-النحو المصفّى: محمد عيد، مكتبة الشباب، (د. ط)، (د. خ).

٤٦- النحو الوافي: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة